﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾ [الأنعام: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مُـهـاتـراتُ الـكـافـريـن متواليةٌ

هذه الآيةُ تتمَّةٌ لما سبقها؛ حيث أشارتِ الآيةُ السّابقةُ إلى ما أشارَ عليهم اليهودُ باقتراحهم من إنزال الكتابِ، فأخبر هنا أنّهم اقترحوا لهم ظهورَ المَلَكِ، وبيّن لوازمَه، فإنّهم قالوا: لو بعثَ اللّه رسولاً لوجبَ كونه ملكًا؛ ليكون أكثرَ علمًا، وأقوى قدرةً، وأظهرَ امتيازًا عنِ البشر، فتكون الشّبهةُ في رسالته أقلّ، والحكيمُ إذا أراد تحصيلًا مهمًّا كان الأَولَى تحصيلَه بما هو أسرعُ إيصالاً إليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَلَكٞۖ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مُجرَّدٌ، جذرُه اللّغويُّ من (مَلَكَ)، وفيه خلافٌ في أنّ جذرَه اللّغويّ مِن (ألك)، والملك هو واحدُ الملائكة، ولفظه مَفعَل منَ الأُلوك، وهو الرّسالة، و"الميم واللّام والكاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشّيء"، "وأمّا المَلَك فالنّحويّون جعلوه من لفظِ الملائكة، وجعلَ الميمَ فيه زائدةً، وقالَ بعضُ المُحقِّقين: هو منَ المِلْكِ، قال: والمُتوَلّي منَ الملائكة شيئًا منَ السّياسات يُقال له: مَلَكٌ بالفتح"[2].

"وقالوا: إنّ المَلَكَ كجبلٍ مِن هذا، وأصلُه مألك، ثمّ بالنّقل ملأك، ثمّ خُفِّفَ فصار ملكًا؛ لأنّ المَلَكَ رسولٌ يحملُ رسالةً منَ اللّه ﷻ إلى مَن أرادَ مِن عبادِه"[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/25 - 26.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ملك).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ألك - لأك).

2) ﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مُجرَّدٌ مِن (أمرَ يأمرُ أمرًا)، وجذرُه اللّغويُّ مِن (أَمَرَ)، وله معانٍ عدّة، ومنه: "الأمرُ نقيضُ النَّهي، والأمرُ واحدٌ من أمور النّاسِ، وإذا أمرت منَ الأمر"، "فأمّا الواحدُ منَ الأمور فقولهم: هذا أمرٌ رضيتُه، وأمرٌ لا أرضاه، وفي المثل: أمرٌ ما أتى بك"، و"الأمر: الشّأن، وجمعه أمور... إذا كلّفتَه أن يفعلَ شيئًا، وهو لفظٌ عامٌّ للأفعال والأقوال كلِّها"[1].

والأصلُ في الأمر طلبُ الفعلِ، لكنّه قد يُطلَقُ "باعتبار الحالِ والبيانِ، فيشمل ذلك الأقوالَ والأفعالَ"[2]. ومعنى قُضي الأمر في الآية: "لَوَجَب العذابُ، وفُرِغ منَ الأمر، وهذا سنّةُ اللّهِ في الكفّار أنّهم متى اقترحوا آيةً فأُنزِلَت، ثمّ لم يؤمنوا استُؤْصِلوا بالعذاب"[3].

3) ﴿يُنظَرُونَ﴾: فعل مضارع مبنيٌّ للمفعول، مسندٌ إلى الجماعة، الجذرُ اللّغويُّ منه (نَظَرَ)، والنّظرُ معروفٌ لكنّه على شطرين؛ نظرُ العينِ ونظرُ القلبِ، والأصلُ في معنى النّظر "تأمّلُ الشّيءِ ومُعايَنَتُهُ، ثمّ يُستعارُ، ويُتّسَعُ فيه"، و"النّظر: تقليبُ البصرِ والبصيرةِ لإدراك الشّيءِ ورؤيته، وقد يُرادُ به التّأمّلُ والفحصُ، وقد يرادُ به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفحص، وهو الرَّويّةُ، يُقال: نظرتَ فلم تَنْظُر؛ أي: لم تتأمَّلْ ولم تَتَروَّ، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [يونس: 101]؛ أي: تأمّلوا"[4].

ومن معانيه: "الإمهالُ والانتظارُ المأخوذُ اشتقاقيًّا منَ التّرقُّبِ والتّفحُّصِ في المواجهة في المعنى المحوريّ، فإنّ التّفحُّصَ والتّأمُّلَ يستغرقُ زمنًا"[5]، وهو الواردُ في الآية؛ فإنّ معنى ﴿لَا يُنظَرُونَ﴾ "لا يؤخَّرون، ولا يُمْهَلون ليُؤمنوا"[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

وكان من أمانيهم الكاذبةِ قولُهم تحضيضًا: هَلّا أُنزل على محمّد مَلَكٌ منَ السّماء؛ كي نصدِّقَه، ونؤمنَ به! فبيَّنَ الحقُّ ﷻ أنّكم لا تطيقون التّلقّي عنِ المَلكِ، وأنّ مِن حكمته

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (أمر).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أمر).
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/129.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نظر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نظر).
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/80.

تعالى بكم أن لا يجيبَكم إلى ما طلبتم؛ فإنّه لو أنزل المَلَكَ، ثمّ نظروا إليه وعاينوه، ولم يؤمنوا؛ فعندئذٍ سيُعاجَلون بالعذابِ والعقوبةِ، ثمّ لا يُمهَلون لتوبةٍ؛ فقد سبقَ في علمِ اللّهِ أنّهم لا يؤمنون.

الصُّورةُ الثّانيةُ مِن تعنُّتِ الكافرين بطلب نزول مَلَكٍ مِن السَّماء

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

وجْهُ استعمالِ ﴿لَوْلَآ﴾ الدّالّةِ على التّحضيضِ:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، ﴿لَوْلَآ﴾: حرفٌ يفيدُ التّحضيضَ[1] بأن تكونَ بمعنى هَلّا، "والتّحضيضُ مُستعمَلٌ في التّعجيز على حسب اعتقادِهم"[2]؛ أي: أنّه لن يستطيعَ ذلك بحسب زعمِهم وظَنِّهم.

التّعجيزُ بحسبِ اعتقادِهم

بلاغةُ تقديمِ المُتعلَّقِ على نائب الفاعل:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قدَّم المُتعلَّقَ ﴿عَلَيْهِ﴾ على نائبِ الفاعلِ ﴿مَلَكٌ﴾، والأصلُ تأخيرُه، والتّقديمُ يفيدُ الاختصاصَ، اختصاصَ نزولِ المَلَكِ عليه لا على غيره؛ ليشهدَ له بالرّسالة، وفي طلبهم هذا محاولةٌ تعجيزه ﷺ؛ ولأنّ الضّميرَ في المُتعلَّقِ عائدٌ عليه ﷺ[3]، وهو مفهومٌ منَ المقام.

اختصاصُ إنزالِ المَلَكِ على الرَّسولِ لا على غيره

تناسبُ جُملَتَيِ التّحضيض ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾، والشَّرطِ ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا﴾:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا﴾، هنا جملتان الأولى تحضيضيّة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾، وهي بمعنى: هَلّا[4]، والثّانية شرطيّة، وهو تناسبٌ يُعدُّ من محسّنات الوصلِ[5]، أن تكونَ الأولى مُطلَقةً عنِ التّقييد، والثّانيةُ مُقيّدةً؛ لوجود الجواب، وهو قضاؤُه بهلاكهم، وعدمُ الإيمانِ منهم مُقيّدٌ بطلبهم إنزالَ المَلَكِ؛ لذلك حسُن الوصل عطفًا بالواو بين الجملتين.

جملةُ التّحضيضِ مُطلَقةٌ، وجملةُ الشَّرطِ مُقيَّدةٌ، وهو من محسّناتِ الوصلِ

(1) الزّجّاجيّ، حروف المعاني والصّفات، ص: 4.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/143.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/143.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/11.
(5) الدّسوقيّ، حاشية الدّسوقيّ على مختصر المعاني: 2/575.

دلالةُ فِعْلَيِ الجوابِ بينَ البناءِ للفاعل، والبناءِ للمفعول:

العظمةُ وتربيةُ المهابةِ، وتوهينُ المخاطَبين

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، جاءَ بالفعل (أنزلنا) مبنيًّا للفاعل مع إسناده إلى (نا) الجمع الدّالّة على العظمة، "مع كونه في السّؤالِ مبنيًّا للمفعول؛ لتهويلِ الأمرِ، وتربيةِ المهابةِ، وبناءُ الثّاني للمفعول للجري على سنن الكبرياءِ"[1]، كما أنّ البناءَ للمفعول في الفعل (يُنظَرون) فيه توهينٌ واستصغارٌ للمُخاطَبين مِن أن يُقال في حقّهم: ثمّ لا ينظرُ اللّهُ إليهم.

نُكتَةُ حَذفِ حَرفِ الاستِعلاءِ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾:

سَـدَّ الـقُـرآنُ الكَـريـمُ جَميعَ مَـداخِـلِ أَهـلِ الضَّلالِ

نُصَّ على حرفِ الاستعلاءِ (عَلَى) في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وحُذِفَ في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾، ولَم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (ولو أنزلنا عليهِ ملَكًا)، وذلك لنُكتَتَين:

إحداهُما: عَدَمُ الاحتياجِ إلى ذكرِها في ردِّ كلامِهم؛ اكتفاءً بذِكرِها أوَّلًا.

والأُخرَى: لئلّا يَكونَ فيه تسليمٌ لِما أَلَحوا إليهِ مِن إنكارِهم نزولَ المَلَكِ عليهِ بالوَحيِ مِنَ اللّهِ تعالى[2].

وجهُ مجازِ الحذفِ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾:

قـضـاءُ الأمـرِ بإهلاكهم، لا يحصلُ إلَّا بعد تكذيبِهم

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، فيه مجازٌ بالحذف، التّقدير: ولو أنزلنا ما يطلبون منَ المَلَكِ، فإمّا أن يصدّقوا فينجوا، وإمّا أن يكذّبوا فيُقضَى عليهم الأمرُ بعذابهم وهلاكهم[3]، على الاحتمالين. أو المعنى: لو أنزلنا مَلَكاً فكفروا بعد ذلك؛ لَعَجَّل لهم العذابَ، ففي الكلامِ على هذا حذفٌ[4].

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 7/97.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/26.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/270.
(4) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/254.

معنى (اللّام) الواقعةِ في جواب ﴿لَوْ﴾:

العِـوضُ عـنِ المضاف إليه

تفيدُ اللّامُ الواقعةُ في جواب ﴿لَوْ﴾ العِوضَ عنِ المضافِ إليه بقرينة السّياقِ؛ أي: لَقُضي أمرُ عذابِهم الّذي يتهدّدهم اللّهُ به[1].

فائدةُ التّعبيرِ بـ(ثمّ) في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾:

نـفـيُ الإنـظـارِ أشـدُّ مـن وقـوع العذابِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ عبّر بحرف العطفِ الّذي يقتضي التّرتيبَ مع التّراخي، وفائدتُه "التّنبيهُ على أنّ عدمَ الإنظار أشدُّ من قضاءِ الأمر؛ لأنّ مفاجأةَ الشِّدّةِ أشدُّ من نفسِ الشِّدّةِ"[2].

تَوجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفظِيِّ بَينَ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وَقَولِهِ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾:

دِقّـةُ الـنّـظـمِ الـقـرآنِيِّ في اسـتـعـمـالِ حُـروفِ المَعاني في سِياقاتِها المُلائِمَةِ لها

قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، وقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: 7]، فَخُصَّت كلُّ آيةٍ بحرفِ جرٍّ مغايرٍ، ووجهُ ذلك أنَّ آيةَ الأنعام تقدَّمَها قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾، فلمّا خُصَّ إنزالُ الكتابِ بحرفِ الجرِّ (علَى)؛ ناسبَهُ أن يُخصَّ إنزالُ المَلَكِ بالحرفِ نفسِهِ.

أمّا آيةُ الفرقانِ فقد صُدِّرت بقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، فلمّا كان هؤلاءِ يُريدونَ أن يكفَّ رسولُ اللّهِ ﷺ عنِ التَّنقُّلِ والحرَكَةِ، وأن يصلَ إليهِ ما يُريدُهُ مِن غيرِ تعبٍ مِنه؛ كان الأنسبُ التَّعبيرَ بحرف الجرِّ (إلَى).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/143.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/171.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»